الفصل الثانى
نظريات النكتة

obeikan.com

obeikan.com

الفصل الثانى
نظريات النكتة

ركزت الدراسات الفلسفية عن النكتة على محاولة تنمية تعريف مرض للنكتة، والتي كانت حتى وقت قريب تدرس – تقريبا – في نطاق واسع مشترك مع الضحك. ووفقا لمعيار التحليل، فان نظريات النكتة يمكن تصنيفها إلى ثلاث مجموعات يمكن تحديدها بدقة في الآتي:

- نظرية التنافر أو التضاد Incongruity.
- نظرية التفوق أو التميز Superiority.
- نظرية التنفيس Relief.

وتعتبر نظرية التنافر هي النظرية الرائدة في نهج دراسة النكتة بالإضافة إلي أن مسيرتها قد ضمت شخصيات تاريخية مثل "كانت Kant"، و"كيركجارد Kierkegaard"، بل ربما تكون قد استمدت جذورها من التعليقات التي أدلى بها أرسطو في كتاب الخطابة (Rhetoric)، في المقام الذي ركز فيه علي وجوه من الهزل، وترى هذه المدرسة في النكتة باعتبارها استجابة للتضارب والتنافر، وهو مصطلح يستخدم على نطاق واسع يشمل الغموض والالتباس، واستحالة المنطقية، واللا علائقية، وعدم الملاءمة.

أما نموذج التفوق والذي نظر له "توماس هوبز Thomas Hobbes"، والذي قال أن النكتة تنشأ عن "التألق المفاجئ" فان مشاعرنا تتغلف بمشاعر السعادة حينما نستشعر أننا نتفوق على الآخرين. ويعتبر أفلاطون وأرسطو من أوائل المنظرين للتفوق، واللذين أكدا على أن المشاعر العدائية هي وقود النكتة.

والمجموعة الثالثة، والمتمثلة في نظرية التنفيس فهي التي ترتبط عادة "بفرويد Freud" "وهربرت سبنسر Herbert Spencer"، وقد رأيا ان النكتة في الأساس هي وسيلة لإطلاق سراح أو توفير الطاقة المتولدة عن القمع.

وبالإضافة إلى ذلك، فان هناك مجموعة رابعة من النظريات عن النكتة وتتمثل في نظرية اللعب. إلا انه لم يكن هناك إقبال كبيرعلي هذه النظرية من كثير من الفلاسفة، لأنها تتطلب منا النظر إلي النكتة، كامتداد للعب الحيوان.

ما هى النكتة؟

يذكر "أرون سموتس Aaron Smuts" انه رغم تعدد الشخصيات والنظريات قي تاريخ الفلسفة، إلا انه وبعد مرور أكثر من 2500 سنة من المناقشة لم يوجد توافق في الآراء بشأن ما الذي يشكل النكتة. وبالرغم من أعداد المفكرين الذين شاركوا في النقاش حول هذا الموضوع، فمازال موضوع النكتة حتى الآن قيد البحث في الفلسفة. إلا أنه لا يوجد سوى عدد قليل من الفلاسفة الذين يهتمون بالتركيز على البحوث المتصلة بالنكتة، ويرجع ذلك لعاملين هما:

1. **مشاكل ميدان البحث والتي أثبتت بشكل يجعل من الصعب تصديقه تسببها في الفشل المتكرر.**
2. **موضوع البحث ذاته والذي يري البعض انه ضئيل الأهمية ولا يستحق الاهتمام.**

ومع ذلك، فإن نطاق وأهمية الدراسة في النكتة ينعكس من خلال طبيعة التخصصات التي تستمد هذه الدراسة أفكارها منها منذ القدم حيث تستمدها من الفلسفة، علم النفس، علم الاجتماع، علم الإنسان، والدراما، والأدب.

ومن النادر أن تجد موضوعا فلسفيا مثل النكتة له صلة مباشرة بحياتنا اليومية، وتفاعلاتنا الاجتماعية، وطبيعتنا كبشر. (Aaron Smuts, 2006).

ووفقا لقاموس أكسفورد الإنجليزي فان كلمة "النكتة" هي كلمة حديثة المنشأ نسبيا، حيث نشأت خلال القرن السابع عشر بعيدا عن العلوم النفسية والفسيولوجية كتكهنات عن آثار من مختلف المزاجات التي يمكن أن تؤثر على مزاج الشخص. والكثير من البحوث في وقت سابق عن النكتة مليئة بالالتباس بين النكتة والضحك، ومازال هناك كثير من المناقشات يدور حول هذه المشكلة.

وكانت آراء "جون ديوي John Dewey" احد أسباب التمييز حيث يري: "أن الضحك جانب ضعيف في النظر إلي النكتة؛ فان صلته بالنكتة صلة ثانوية فقط. وهو يمثل لحظة إنهاء [...] لفترة من الترقب، أو التشويق، أو التوقع، هو لحظة الإنهاء لكل ما هو حاد أو ثانوي"، ونحن نضحك لأسباب متنوعة، فالاستماع إلى نكتة يضحكنا، ونضحك عند استنشاق نوع من الغازات، ونضحك عندما نتعرض للدغدغة فليس كل ما ينجم لدينا من ضحكات يجئ من النكتة.

وفي محاولة لتقديم نظرية عامة عن الضحك والنكتة للباحث "جون مورال John Morreall" وضع تمييزا أدق: فالضحك من النتائج السارة للتحول النفسي، في حين أن النكتة تنشأ من التحول المعرفي السار. حيث تلاحظ غلبة روح الدعابة علي الضحك، ويقول الباحث "روبرت بروفين Provine" أن الضحك هو في أغلب الأحيان يتم بغير النكتة في التفاعلات الاجتماعية، ويمثل آلية للتخفيف من حدة التوتر. وإذا كانت النكتة ليست شرطا ضروريا للضحك، فيحق لنا أن نسأل عن مدي كفايتها. فكثيرا ما تكون النكتة مولدة للضحك، ولكنها في بعض الأحيان قد لا تنتج غير الابتسامة. ومن الواضح أن هذه الظواهر متمايزة نسبيا لكنها ترتبط ارتباطا وثيقا بطريقة أو بأخري، ولفهم تلك العلاقة فحن بحاجة إلى مفاهيم أوضح لكل من الضحك والنكتة. .(Robert Provine, 2000)

كما يقترح "بروفين" أن الضحك لكونه مندرجا في مجموعة محددة من أنماط الخصائص الصوتية والتي تمثل ناحية فسيولوجية فقط، فمن الممكن وصفه كعملية بيولوجية تعمل علي السيطرة على التنفس. في حين يمكننا هنا أن نصف ضحك النكتة علي انه الضحك استجابة للنكتة.

ونعود لنجد أنفسنا أمام سؤال: ما هي النكتة؟ وهذا الموضوع كما يري "ارون سموتس" Aaron Smuts يحتاج لدراسات طويلة ومتعمقة وبصفة مبدئية يمكن القول أن "النكتة أو التسلية على نطاق واسع تعتبر بمثابة استجابة لنوع معين من المثيرات. أما الكوميدي أو المضحك – من ناحية أخرى – فان أفضل وصف له أنه مصدر مهني لإنتاج النكت، كعناصر متعددة من مختلف أشكال الفنون. وفي التمييز بين ضحك النكتة وغيره من الضحك فلابد أن تفترض مسبقا وجود تعريف عملي للنكتة. وهنا يبرز أمامنا السؤال الأول مرة أخري: ما هي النكتة؟.

ومن هنا فان علينا قبل الدخول في عالم التنظير للنكتة محاولة التوقف مرة أخري بتصحيح وضع التعريف. فالهدف الأول من نظرية النكتة هو البحث عن الأساس العملي لتعريف النكتة.

وكما سبق أن عرضنا في بداية الحديث عن النكتة فان معظم تعريفات النكتة في جوهرها هي محاولات لوضع قائمة ما هو ضروري وكاف من شروط يجب أن تجتمع لتكون بمثابة النكتة.

بعض النظريات عزلت العنصر المشترك والمفترض في جميع النكات، ولكنها لم تأبه للظروف الكافية والمناسبة. ويبدو أن العديد من المنظرين خلط بين الظروف الضرورية للاستجابة للنكتة مع توضيح لماذا نجد شيئا مضحكا وآخر لا يدفعنا للضحك.

وهذا هو السؤال الثاني: ما الذي يمكن أن يكون كافيا في موضوع ما لنراه مضحكا؟، هذا هو الجوهر الأساسي في دراسات النكتة، ويجب أن يظل بمنأى عن أهداف تعريف الاستجابة للنكتة. الجوهر الأساسي كثيرا ما يختلط على سؤال يتصل بما يكفي من شروط لاستجابتنا لاعتبار النكتة نوعا من التسلية، لكن من الأهمية بمكان أن يكون هناك تمييزا محددا: تحديد شروط الاستجابة المختلفة عن الملامح التي يمكن أن تكون في شئ ما وتستثير الاستجابة. وتختلف المهمة الأولى اختلافا كبيرا عن اقتراح ما هي السمات الكافية لإثارة رد فعل من النكتة والتسلية.

ما الذي يكفي أن يرقي بشئ إلى استجابة النكتة؟ يختلف عن ما الذي يجعل شيئا مضحكا. فاسم (النكتة) يختلف عن وصف (الشئ المضحك).

تصنيف مشاكل المنظرين:

مستوى التحليل هو المشكلة الرئيسية في ميدان التنظير للنكتة، وتظهره "د.هـ مونرو D. H. Monro"، بأن تصنيف النكتة إلى نظريات التفوق، والتنافر، والتنفيس هو تصنيف إلي نظريات زائفة ويؤدي إلي جدال حاد بين وجهات النظر. ونادرا ما يحاول أي من المنظرين التاريخيين في أي من هذه المدارس تدعيم هذه النظريات بما يكفي من الشروط الضرورية للشيء الذي يمكن أن يعتبر "نكتة"، ناهيك عن وضع وجهات نظرهم في منافسة مع الآخرين. وثمة مشكلة أخرى تتعلق فقط بما هو الشيء الذي يمكن أن يطلق عليه "نكتة". بعض النظريات عالج موضوع النكتة، في حين أن البعض الآخر عني في المقام الأول بخصائص الاستجابة، ونظريات أخرى ناقشت الموضوعين على حد سواء.

نظريات النكتة الأكثر رواجا تصنف إلى ثلاث مجموعات: التنافر، والتنفيس، ونظريات التفوق وهو نوع من المبالغة في التبسيط. فقد حدد عديد من العلماء أكثر من 100 نوع من نظريات النكتة، وصنفت "باتريشيا كيث – شبيجل Patricia Keith-Spiegel's" نظريات النكتة إلى 8 أنواع رئيسية:

- البيولوجية.

- التفوق.
- التنافر.
- المفاجأة.
- التناقض.
- التنفيس.
- التكوين.
- ونظريات (التحليل النفسي).

واقترح "جيم لايتل Jim Lyttle" – على أساس أنها مسألة هي في المقام الأول تعني بمعالجة النكتة – تصنيف النظريات إلى ثلاث مجموعات مختلفة:

(1) النظريات الوظيفية للنكتة من خلال: ما هو الغرض من النكتة في حياة الإنسان؟.

(2) نظريات المحفزات وتعني بما الذي يجعل شيء معين مضحكا؟.

(3) منظروا الاستجابة من خلال تساؤل لماذا نجد الأشياء مضحكة؟.

وان أفضل طريقة هو أن نقول إن منظروا الاستجابة يسألون ما هي المشاعر الخاصة بالنكتة.

إن قليلا من التحقق قد يبين أن تجيمع "لايتل" هو نوع من التكلف، لأن العديد من نظريات النكتة قد تصدت للإجابة علي أكثر من واحد من هذه الأسئلة، وحتى الإجابة على احدها غالبا ما ينطوي على الإجابة على الأسئلة الأخرى – على سبيل المثال – وإن ركزت على وظيفة من الضحك، فأصحاب نظرية التنفيس كثيرا ما يكون لديهم ما يقولونه عن جميع الأسئلة الثلاثة: فالنكتة بمثابة آلية الإفراج عن التوتر، وكثيرا ما يتعلق بمضمون هذا الموضوع من قمع الرغبات، وإيجاد هذه المضحكات التي تنطوي على شعور التنفيس.

وبغض النظر عن التصنيف المخطط للنكتة، فعند تحليل نظريات النكتة التقليدية فنحن بحاجة إلى النظر في كيفية إجابة الأسئلة الرئيسية التي تشغل الجزء الأكبر من المناقشة. والأسئلة الأولية في نظريات النكتة تشمل ما يلي:

1. **سؤال النكتة: ما هي النكتة؟**

والإجابة عن هذا السؤال كثيرا ما تنطوي علي أجوبة الأسئلة المتعلقة بالموضوعات والاستجابات. وهذا هو السؤال الرئيس في أي نظرية للنكتة.

2. **سؤال الموضوع البارز:**

(1) **هل هناك أي أشياء مميزة متكررة في العثور على ما هو مضحك؟.**

(2) **هل هناك أي مميزات ضرورية لأي شئ ليكون مضحكا؟.**

(3) **هل هناك أي السمات التي تعتبر بحد ذاتها أو بالاشتراك مع سمات أخري كافية ليمكن أن تعتبر شيئا مضحكا؟.**

والإجابة عن هذا السؤال بالإيجاب تؤدي إلي اكتشاف الجوهر الأساسي في نظرية الضحك.

3. **سؤال الاستجابة:**

هل هناك أي شيء من الناحية النفسية أو الإدراكية يميز أو ينمط الشيء المضحك؟.

4. **سؤال الضحك: كيف تتعلق النكتة بالضحك؟**

وبالنظر إلى هذه القائمة من التساؤلات، قد نسأل عن ما الذي تستطيع نظرية النكتة أن تصل إليه؟، اخذين بعين الاعتبار النكتة بوصفها نظرية وليس مجرد نهج للنكتة، والنظرية يجب أن تحاول الإجابة على سؤال ما هي النكتة؟ مثل نظرية التنفيس، معظم منظري النكتة لا يحاولون الإجابة على هذا السؤال بشكل رئيس، ولكنهم يناقشون بعض الخصائص المهمة أو الضرورية في النكتة. ومختلف نظريات النكتة منذ بدأت وهي تتصدي للأسئلة التي تدخل في هذه المجموعة كمسألة ذات صلة بالدراسة العامة للنكتة، وغالبا ما يكون من الصعب وضعهم في منافسة مع بعضهم البعض. وقبول هذا الحد، يمكننا من المضي قدما في استكشاف بعض من أهم نظريات النكتة المدرجة على نطاق واسع التأثير في مستوى التحليل.

openkan.com

أهم نظريات النكتة

هناك عديد من النظريات التي حاولت وضع افتراضات نظرية للنكتة، إلا أن هناك شبه اتفاق علي أن أبرز النظريات في هذا المضمار ثلاث نظريات هي:

- نظرية التفوق.
- نظرية التنفيس.
- نظرية التنافر.

ويضيف البعض إلي هذه النظريات نظرية اللعب، كما أن كثير من الذين يتناولون الحديث عن النكتة أو دراستها يعتدون كثيرا بمقالة "برجسون" عن الضحك والنكتة، وفي الصفحات التالية محاولة لتقديم عرض لكل هذا.

أولا: نظرية التفوق

نستطيع إعطاء شكلين لافتراضات نظرية التفوق للنكتة:

1. افتراض قوي يرى أن جميع النكت تنطوي على شعور بالتفوق.
2. افتراض ضعيف يشير إلى أن مشاعر التفوق توجد في كثير من حالات النكتة.

ومن غير الواضح أن عديد من منظري التفوق يؤيدون الافتراض الأول ومن ثم فانه من الضروري تقييم هذا الافتراض كشرط ضروري للنظرية.

وفي الواقع فان أفلاطون Plato وأرسطو Aristotle لم يقدما تصريحات واضحة عن جوهر النكتة، رغم تعليقاتهما عن دور مشاعر التفوق في إيجاد شيء مضحك. ففي "حوارات" (Philebus) "أفلاطون" سعى لكشف "مزيج من السرور والألم يكمنان في اللهو أو التسلية الماكرة". ويري أن الجهل هو محنة أو سوء حظ عندما يوجد كنوع من الضعف في رواية مضحكة، أو في الكوميديا أو حين نغتنم المتعة في المضحكات، أو في الخلط بين السرور والألم من الروح.

وبعض من تعليقات أرسطو الموجزة في "الشاعرية" (The Poetics) تعتبر تأييدا لوجهة نظر أفلاطون عن السرور المنبعث من الكوميديا. فالمأساة تتناول الموضوعات التي هي أفضل من المتوسط أو المتوسطة، أما في الكوميديا فنحن نتطلع إلى شخصيات ادني، حيث يتم عرض موضوعات تتسم بفضيلة أقل، أو "شخصيات أدنى مرتبة، أو "جمهور مثير للسخرية" ووفقا لأرسطو "فإن الفشل هو قطعة من القبح الذي لا يسبب الألم أو

التدمير" ويتجاوز الموضوع الكوميديا في كتاب "البلاغة" (Rhetoric) فأرسطو يضيف إلي ذلك "غطرسة المثقف" وفي كتابه "الأخلاق" في (Nicomachean) يصف أرسطو النكت بأنها "نوع من سوء المعاملة" والتي ينبغي من الناحية المثالية أن تقال دون ان تنتج ألما. وبدلا من أن يقدما بوضوح نظرية التفوق في النكتة فان أفلاطون وأرسطو ركزا على تلك السمة المشتركة للكوميديا، ليصل إلى اهتمامنا الاعتبارات الأخلاقية فقط.

"توماس هوبز Thomas Hobbes" طور أكثر من نسخة معروفة جيدا من نظرية التفوق مقدما تعبيرا مؤكدا للفكرة، حيث يؤكد "هوبز" أن انفعال الضحك هو أي شيء آخر ولكن التألق المفاجئ هو الذي ينشا عن بعض من الإدراك المفاجئ للسمو الذي نكتشفه في أنفسنا، بالمقارنة مع العجز في الآخرين، أو مع خواصنا السابقة". فبدافع من الغرور الأدبي يكون الضحك بمثابة الإحساس بالانتصار، وتعبير "هوبز" عن نظرية التفوق يجعلها تبدو وكأنها نظرية في الضحك أكثر من كونها نظرية للنكتة وفي عروض "بودلير Baudelaire" عروض مثيرة للاهتمامات المختلفة لنظرية "هوبز" للتفوق، حيث تمتزج الدونية مع الموت. ويزعم "هوبز" أن "الضحك هو سمة شيطانية" تعبيرا عن الهيمنة على الحيوانية وشكوى الإحباط ضد وجودنا كمجرد موتى.

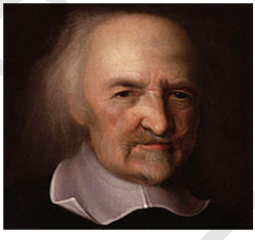

توماس هوبز

وفي انتقاد معاكس لنظرية التفوق، يقدم "روبرت سولومون Robert Solomon" نظرية الدونية" في النكتة. فيري أن:

- الاعتراف الذاتي بالسخافة.
- والسلوك الغريب.
- بالإضافة إلي السلوك الذاتي المستنكر.

روبرت سولومون

هي ثلاث من العوامل التي تمثل مصدر النكتة في الدونية أو التواضع. وبدلا من مقارنة وضعنا الحالي مع وضعنا النفسي الأدني فى السابق يرى "سولومون" أن القدرة ليست في اخذ ذاتك بجدية، أو النظر إلى نفسك بأقل من المثالية، أو بوصفها مصدرا للفضائل والتواضع والرحمة. وتحليل ثلاثية "سولومون" للمضحكات الثلاث ليست نظرية كاملة للنكتة، فهي لم تقدم أي تصريحات عن ما هو ضروري أو ما يكفي من شروط للنكتة،

غير أن هذه النظرية للنكتة تشير إلي الشعور بمعنى أنها تشير إلى المصدر المحتمل للنكتة أو ما يمكن أن يكون نكتة والكيفية التي يمكن أن يوظف بها وقد أثارت "نظرية الدونية" في النكتة "لسولومون" اعتراضات رئيسة ضد نظرية التفوق، حيث تري أن الشعور بالتفوق ليس شرطا ضروريا للنكتة ويقدم "مورال Morreall " أمثلة عديدة يمكن أن تثير الضحك مثل وجود كرة "البولينج" في الثلاجة، ولكنها وبوضوح لا تنطوي على التفوق.

كما أنه إذا كانت مشاعر التفوق ضرورية للنكتة، فهل هي كافية لإثارة الضحك دائما وفي كل الأحوال؟.

ومما لا شك فيه فإنن هذا ليس هو الحال في نقد "هوبز وفرانسيس هوتشسون Hobbes& Francis Hutcheson" في القرن الثامن عشر، والذان أشارا إلي أننا يمكن أن نشعر بالتفوق على الكثير من الأشياء، والكلاب والقطط، والأشجار، إلخ، دون أن يكون ذلك مسليا: "ومع أن براعة بعض الكلاب والقرود التي تأتي قريبة لبعض تصرفاتنا كثيرا ما تجعلنا نحس بالسرور والمرح إلا أن سلوكها الموحي بأنها أقل بكثير منا لا يحقق أي نوع من الدعابة والمرح على الإطلاق".

وعموما إذا كان لنا أن نقيم النسخة الأضعف من نظرية التفوق – بأن النكتة غالبا ما تغذيها مشاعر التفوق – فان هناك مطالبات بضرورة التجريب في هذا المجال وبسهولة لتأكيد فرضيات هذه النظرية.

ثانيا: نظرية التنفيس

نظريات التنفيس محاولة لوصف النكتة على غرار أنها نموذج ما للإفراج عن حدة التوتر.

هربرت سبنسر

وبدلا من تعريف النكتة، فإنها تهتم بمناقشة الهياكل الأساسية والعمليات النفسية التي تنتج عن الضحك. ومن أبرز المنظرين للتنفيس "هربرت سبنسر وسيجموند فرويد Herbert Spencer and Sigmund Freud" ويمكننا النظر في نمطين من نظريات التنفيس:

1. النمط الأقوي والذي يري أن الضحك سببا في تنفيس كل الطاقة المفرطة.

2. النمط الأضعف والذي يدعي أنه في كثير من الأحيان فإن روح الدعابة والضحك تنطوي على الإفراج عن التوتر أو الطاقة.

و"فرويد" يبنى تصورا أكثر تحديدا ووصفا لآلية نقل الطاقة، إلا انه يري أن العمليات ليست من المتطلبات الضرورية والأساسية لنظرية التنفيس في النكتة.

وفي "فسيولوجيا للضحك" طور سبنسر Spencer نظرية عن الضحك باعتباره يرتبط ارتباطا وثيقا بنظرية "الهيدروليكي" للطاقة العصبية، حيث أن المثير والإثارة العقلية والطاقة الناتجة "لابد أن تنفق نفسها بشكل أو بآخر".

ويري إن "الإثارة العصبية تميل دائما إلى أن تولد من العضلات" كشكل من أشكال الحركة الجسمية، والضحك يمكن أن يكون بمثابة معبر لمسار أشكال مختلفة من الطاقة العصبية. ولا يرى "سبنسر" في نظريته منافسا لنظرية التنافر، علي العكس فقد حاول تفسير كيف أن سبب بعض الإثارة العقلية ناجم عن "التنافر المنحدر" كنتائج مميزة لا تهدف إلي حركات جسدية.

ولم يقدم "سبنسر" آية إجابات مرضية عن كثير من التساؤلات التي تطرح حول ماهية النكتة تحديدا، لكنه أكتفي بتقديم فكرته الأساسية في أن إطلاق سراح الطاقة المكبوتة يكون عبر مسار الضحك.

أحد الانتقادات التي وجهت لنظرية "سبنسر" في تنفيس الطاقة أنها لا يبدو فيها وصف لمعظم حالات النكات التي تحدث بسرعة. فكثير من حالات النكتة تكون مثل النكات السريعة "القفشات"، والرسوم التي لا يبدو أنها تنطوي على بناء للطاقة التي يدعي أنها قد أفرج عنها.

وفي اعتقاد "سبنسر" أن أفضل تفسير للضحك، هو التنفيس عن الطاقة بلا هدف، ولا بد من أن نستثني الطاقة الناتجة من النكتة. ومع ذلك فان معظم التجارب التي أجريت علي النكتة أثبتت أنها لا تنطوي على طاقة بناء كما يبدو، والنكتة لا تبدو في متناولنا ونحن في حالة من الهياج العام، وقد يكون أفضل تفسير لهذا أن الضحك ليس بلا هدف كما يبدو، كما أن كل الطاقة المفرج عنها، هادفة أم غير هادفة، تحتاج للانطواء علي بناء.

وقد رد سبنسر على الانتقادات بأن كل إنسان يقوم باستمرار ببناء الطاقة ببساطة من خلال عملية إدارة الإجهاد اليومي. وعلى هذا النحو فان معظم الناس قد تتجاوز الطاقة

التي يبنيها ما يلزمه من طاقة، وهو شكل من أشكال الطاقة المحتملة، في انتظار أن يفرج عنها عن طريق النكتة. فعلى سبيل المثال، كثيرا ما نسمع أن النكتة تسمح بتخفيف التوتر بعد يوم مجهد في العمل، والمشكلة مع هذه الحجة هو أن معظم أولئك الذين هم "مجهدون بشدة " يبدون أقل تقبلا للنكتة.

ولا يقتصر الأمر على محاولات النكتة فكثيرا ما يمتد الأمر فيشمل كل نتائج التسلية وتصبح عادة في الحد الأدنى من التأثير. وربما يمكن القول أن سبنسر قد استطاع أن يبرهن في جزء معين علي أن النكتة قادرة علي الإفراج عن الطاقة المكبوتة وهذا لا يمنع انه في حالات أخري تصبح هذه النكتة عاجزة عن الإفراج عن أي فائض من الطاقة.

في "النكات وعلاقتها باللاشعور" فان "فرويد" طور صورة من نظرية التنفيس في النكتة، فقد أكد علي نظرية "سبنسر" مع إضافة عمليات جديدة، وذلك بوصفه لثلاثة مصادر مختلفة من الضحك، وهي المزاح، والكوميديا، والنكتة، والتي تنطوي على تنفيس بعض من الطاقة النفسية التي تخرج عبر الضحك.

فعن طريق النكتة فان الطاقة التي كان يمكن أن تستخدم في الكبت الجنسي وكبت المشاعر العدوانية يمكن أن تنفس ويمكن الإفراج عنها عبر الضحك. وفي الكوميديا تستخدم الطاقة المعرفية في حل التحديات الفكرية المتضمنة بها ومن ثم يمكن الإفراج عنها. والمزاح ينطوي على ادخار طاقة مشاعر الغضب، فعندما نتعرض لموقف مثير لمشاعر الغضب فإننا ينبغي أن نتعامل مع أمر لا يتسم بالخطورة. عندئذ فان الطاقة التي قد تبني لرد ود فعل المشاعر الخطيرة تتراجع ويمكن بعد ذلك الإفراج عنها.

تفاصيل مناقشات فرويد عن عملية تنفيس الطاقة، تعتبر إشكالية على نطاق واسع. ففكرته عن تنفيس الطاقة فكرة تتسم بالغموض وعدم الوضوح، حيث أنه ليس من الواضح ما معنى قوله بأن الطاقة تنفس، بدلا من القول بأن الطاقة لم تستهلك.

وخذ نظريته عن النكتة، حيث أن الطاقة قد تستخدم خلاف ذلك لقمع الشهوة الجنسية بدلا من تنفيسها بالتنكيت كما يمكن للعدوان أيضا أن يفرج عنها.

"موريل وكارول Morreall and Carroll" قدما انتقادات مماثلة لهذه النظرية في رؤيتها لإدارة الطاقة، فقد تكون لدينا فكرة عن كيفية وصول الطاقة المكبوتة، ولكن ليست لدينا فكرة عما ما من شأنه أن يكون مطلقا لسراح الطاقة التي تستخدم لقمع الرغبة، كما

رأيا أن هناك بعض من الغرابة وراء دعوي فرويد، حيث أن هذه النظرية عن النكتة لا تتفق مع النتائج المتوقعة للملاحظات التجريبية.

وفي تفسير فرويد، فان الناس يميلون إلي الاستمتاع بالنكت أكثر من ميلهم للكبت أو القمع، وإن كان العكس هو الصحيح.

إن نظرية التنفيس في الضحك لا تقدم لنا طريقة للتمييز بين الضحك بواسطة النكتة والضحك بغير النكتة. ورؤية فرويد لتنفيس الطاقة هي رؤية إدراكي مباشرة مع أشكال أخرى من الطاقة. وكما رأينا مع "سبنسر" فإن نظريات التنفيس لابد لها أن تمتطى صهوة نظرية أخرى عن النكتة. "ففرويد" في محاولته لشرح السبب في لماذا نحن نضحك؟ بذل جهدا في محاولة لتفسير لماذا نجد بعض النكات مضحكة وخصوصا المغرضة منها، على الرغم من أنه ليس من الواضح كيف توصل إلي نظريته في تنفيس الطاقة. انه يرتكب خطأ أساسيا لمنظري التنفيس – خطأ أنهم يفترضون أن الطاقة العقلية كثيرا ما تنفس بالحركة الجسمية – أي أن الحركة الجسمية يجب أن تفسر من خلال فائض الطاقة العصبية.

ثالثا: نظرية التنافر

تعتبر نظرية التنافر هي النظرية السائدة في النكتة، لأنها تمثل محاولة لتناول معظم حالات النكت، وخلقت من نموذج "التنافر" مظلة من التعميم، كما جعلت التنافر – من الناحية النظرية فقط – شرطا ضروريا للنكتة وفي تصورها لوجود التنافر أغمضت عينيها عن تقديم ما يكفي من بقية الشروط.

في الجزء الثالث من (البلاغة) يعرض أرسطو نمطا قريبا من نظرية التنافر في النكتة، حيث يري أن أفضل طريقة لحصول المتلقي على الضحك هو توقعه لشيء ما "كتطور طبيعي لما يتلقاه".. وفى النهاية يستمع إلي نتيجة غير متوقعة ومفاجئة، ويقول أرسطو أن "أن تأثير النكات ينتج تبعا للتغييرات في كلمات الرسالة؛ وهذا أيضا هو المفاجأة. ويري أرسطو أننا يمكن أن نجد هذا سواء في الشعر أو في النثر. تلك الكلمة التي تأتي إلي أسماعنا بما ما لا نتوقع أو نتصور أو حتى نتخيل. "وهذه الملاحظات تبدو كنظرية

ديكارت Descartes

المفاجاة في النكتة مماثلة لتلك التي عرضها "ديكارت Descartes" في وقت لاحق، ويستمر أرسطو في شرح كيف أن المفاجأة "تطابق الحقائق" بطريقة أو بأخرى، أو بالقدر الذي وضعناها عليه اليوم، فإن التنافر يجب أن يكون قادرا وقابلا لان يعطى نقطة الحل للعقدة الرئيسية للحديث.

كانت Kant

وفي "نقد العقل "يعطي "كانت Kant" بيانا أوضح لدور التنافر في النكتة "ففي كل ما هو يمكن أن يكون مثيرا للضحك يجب أن يكون هناك شيئا سخيفا (في ما يفهم، وبناء عليه، يمكن أن لا تستشعر الارتياح). والضحك هو التأثير الظاهر للعيان للتحول المفاجئ نتيجة التوتر الناشئ في توقع لاشيء.

وقدم "شوبينهاير Schopenhauer" تصورا أكثر تحديدا لنظرية التنافر، بحجة أن النكتة ناشئة عن إخفاق مفهوم عن تفسير موضوع التفكير. ولا سيما عندما يتجاوز ما هو شائع، ونواجه نحن بذلك التنافر. كما يؤكد "شوبينهاير" عنصر المفاجأة، قائلا إنه "أكبر وأكثر ما هو غير متوقع [...] هذا هو

شوبينهاير

التنافر، وسيكون ضحكه أكثر انفعالا".

وكما ذكر "كانت" و"شوبينهاير"، فان نظرية التنافر في النكتة تعتبر شرطا ضروريا كوجه من وجوه النكتة. ومع التركيز على وجوه النكتة فإن من الحقائق ما يكون خارج تحليل النكتة، فهناك أنواع كثيرة من الأشياء المتنافرة التي لا تدفع للتسلية. وهناك أكثر من بيان قوي من نظرية التنافر في حاجة لان يتضمن استجابة مقنعة في موضوع النكتة.

وكانت محاولات "جون مورال John Morreall" لإيجاد ما يكفي من الشروط لتحديد النكتة من خلال التركيز على استجابات المتلقين، والتي توصل من خلالها إلي أن التسلية في النكتة تجئ كابتهاج آسر من خلال التحول المعرفي. إن نظرية التنافر يمكن أن تكون استجابة لنظرية بؤرية تدعي أن النكتة هي نوع معين من رد فعل كتنافر مدرك.

والانتقادات الرئيسية الثلاثة لنظرية التنافر هي:

- **أولا أنها أكثر اتساعا من أن يكون لها دلالات هامة.**
- **وثانيا هي غير كافية لتقديم تفسيرات تميز بين التنافر غير المرتبط بالنكات وبين التنافر الجوهري، وحتى المحاولات المنقحة ما زالت تخفق في تفسير سبب بعض الأمور التي تبدو مضحكة أكثر من غيرها، أو حتى لماذا هي مضحكة.**
- **وسبق أن تناولنا الانتقاد الثالث وهو أن النظرية تخلط بين موضوع النكتة والاستجابة للنكتة، ولم تتطرق إلي قضية تعريف النكتة، أي كيفية تعريف النكتة، وليس كيفية خلق النكتة المولدة.**

ونظرية التنافر في ردها علي هذه الانتقادات، أمكنها الادعاء بان النكتة هي المتعة في التنافر.

رابعا: نظريات اللعب

توصف نظريات اللعب في النكتة كمدرسة مستقلة أو كمنهج بالغ الأهمية نسبيا، على الرغم من أنها لا تمثل دورا حيويا بين النظريات التي ركزت علي التساؤلات الوظيفية.

ومن خلال النظر في خصائص القرائن، فان نظريات اللعب تعتبر محاولة لتصنيف النكتة بوصفها نوعا من اللعب. في جهد للتصنيف العام، ونظريات اللعب لم تضع قائمة للكثير من الظروف الضرورية، والتي تدفعنا للنظر إلي النكتة كامتداد للعب الحيوان. وهي تحاول لفت انتباهنا إلى أوجه التشابه الهيكلية بين سياق اللعب وسياق النكتة، وتشير إلى أن ما قد يكون صحيحا في اللعب، قد يكون صحيحا في النكتة كذلك. ونظريات اللعب غالبا ما تتجه للدراسات الانثولوجية Ethological كنهج لدراسة النكتة، بتتبعها من خلال العودة إلي تطور النمو. فاصحاب هذه النظرية ينظرون لمثير الضحك وكأنه يؤدي دوره كالدغدغة، والتي يمكن أن توجد في الأنواع الأخرى من الحيوانات، باقتراح أن النكتة تلخص بعضا من تطور النوع البشري. في الاستمتاع بالضحك، "ماكس إيستمان Max Eastman" طور نظرية اللعب في النكتة إلي التكيف مع القص (الحكي). ويري أننا نستطيع أن نجد الجانب الوظيفي في النكتة في سلوك الحيوانات، وخاصة في الضحك البدائي لدغدغة الشمبانزي. ويذهب إلى حد القول أن هز الكلب لذيله سعيدا هو شكل من أشكال ضحك النكتة، وقد سعي

"إيستمان" لتوسيع نطاق تعريف الضحك ليشمل غيرها من الاستجابات المتناغمة مع المتعة والشعور بالسعادة. متحدثا بشكل أكثر تحديدا عن النكتة، ويقول "نحن نأتي إلى العالم، ولدينا نزعة غريزية إلى الضحك ونملك ذلك الشعور في الاستجابة لإثارات العرض الهزلي". وفي تقدير "إيستمان" لحساب ما هو الشئ الرئيس أو المركزي في النكتة واللعب على حد سواء في أنهما يتطلبان اتخاذ اتجاه لا مبال تجاه ما يمكن أن يعتبر خطيرا.

ويري "إيستمان" تعريفا للعب بأنه اعتماد علي اللامبالاة، ومن هنا فان النكتة يمكن اعتبارها شكلا من أشكال اللعب اعتمادا على ذلك التعريف، ولكن هذه النظرة تبدو ضيقة للغاية وغامضة للغاية لتكون مناسبة لتعريف اللعب.

وقد انتقد "جون هوزنجا John Huizinga" في كتابه (Homo Ludens) هذا التعريف للعب أو الضحك الهزلي. ورأي أن كليهما يبدو متضمنا "عكس الجدية،" وأن وجود عدم التناسق يصبح عنصرا حاسما في هذه القضية. ويشير إلي أن الضحك، شئ خاص بالبشر، في حين أن اللعب يوجد في غيرهم من الكائنات كالثدييات والطيور. ثم أيضا، إذا اتفقنا علي بعض الأنواع المعينة من الألعاب التنافسية، فلن يكون هناك مجال لعدم جدية الموقف، كما يبدو في النكتة. إن تعريف "الكوميديا" أو النكتة كلعب يخلق عددا من الإشكاليات، فاللعب في حد ذاته كما يري "هوزنجا" ليس بالكوميديا سواء للاعب أو الجمهور. ويتساءل "هوزنجا" هل هناك شروط لازمة تعتبر قاسما مشتركا بين اللعب والنكتة؟ ويري أن البعض يرون ان كون النكتة نمط فرعي من اللعب يعتبر شرطا. وهذا، بطبيعة الحال، يعتمد على طريقة وصفنا للنكتة واللعب، وهما بنفس القدر من المفاهيم البعيدة المنال .(Aaron Smuts, 2006).

ونظرية اللعب تهتم في المقام الأول بمشكلة تحديد وظيفة النكتة بشرح الطريقة التي يمكن بها تقدير قيمتها في التكيف مع الظروف وهي مهمة تناولتها النظريات البيولوجية الأخرى عن النكتة. وتقول أن أوجه التشابه بين اللعب والنكتة تشير إلى أن قيمة اللعب في التكيف قد تكون وظيفة النكتة مماثلة لها. وذهب بعض من الباحثين إلي التركيز على المسائل الفنية ووصف قيمة النكتة في التنمية المعرفية والاجتماعية وتعلم المهارات، وتخفيف حدة التوتر، وإدارة المشاعر، وتدعيم الجهاز المناعي النفسي، وشدد البعض

على التنفيس، وتقوية الروابط الاجتماعية. ورغم أن هذه الاهتمامات موجهة في المقام الأول من جانب علماء النفس، علماء الاجتماع، وعلماء الأنثروبولوجيا، والباحثون في مجال الطب، فان الاعتماد على دراسات ومساهمات نظرية التطور لم يخلو منها التفكير في موضوع النكتة. وعلى الرغم من كل الانتقادات فان نظريات النكتة قد القت كثيرا من الضوء علي وظائفها، والدور المثير الذي تلعبه في حياتنا.

ملخص نظريات النكتة

كان هذا عرض لمدارس أربع مختلفة في نظريات النكتة، ولاحظنا كيف تتكشف الجوانب المشتركة بينها، مما يؤكد أن النظريات المطروحة لا تمثل اتجاهات متنافسة أو متعارضة، وكما رأينا فان تصنيف كل المنظرين كان مركزا على المشاكل المختلفة ويمكن الاستفادة من المدارس المختلفة في الإجابة على مختلف الأسئلة. وعلى سبيل المثال فمع التركيز على السبب في أننا نجد شيئا مضحكا فان آراء "سبنسر" تعتمد على تفسير الجواب في نظرية التنافر لإعطاء تفسير لمسألة ما نجده مضحكا. ونظرية التنفيس ونظرية اللعب تميلان إلى التركيز على وظائف النكتة في حياة الإنسان، وإن الوظيفية مسألة لا يمكن فصلها عن وصف التسلية، أو الاستجابة للنكتة. ونظرية التفوق تميل إلى التركيز على ما هي المشاعر التي من الضروري أن تكون وراء تولد النكتة، أو لماذا نجد بعض الأمور مضحكة. وقدمت نظريات التنافر بصورة أكثر بعض وجوه النكتة، على الرغم من تحديد متغيرات النكتة مع الطريقة التي علينا أن نستجيب بها للتنافر.

نظرية "برجسون" عن النكتة

مقالة "الضحك" "لهنري برجسون Henri Bergson" ربما تكون واحدة من أكثر النظريات تأثيرا وتطورا في النكتة. ونظرية "برجسون" عن النكتة لا يمكن تصنيفها بسهولة، لأنها مزيج من عناصر نظريات التفوق والتنافر. وفي عبارة شهيرة يقول "برجسون" أن مصدر النكتة هي "الميكانيكية التي تغلف المعيشية". ووفقا لبرجسون "فان النكتة لا وجود لها خارج ما هو إنساني تماما". ويري أن النكتة تنطوي على التنافر في العلاقة بين الذكاء البشري والسلوكيات الاعتيادية أو الميكانيكية. وعلى هذا النحو، فان النكتة تفيد في العلاج الاجتماعي، ومساعدة الناس على الاعتراف بالسلوكيات التي هي غير محققة

للتألق البشري. إن الاعتراف لنا بالتفوق على البشر يعتبر مصدرا كبيرا للنكتة. وإن أي شيء يهدد الشخص سواء بيولوجيا (جسميا) أو ميكانيكيا (وظيفيا) – هو شئ رئيس في المواد اللازمة للنكتة. ومما لا شك فيه فإن نظرية "برجسون" قدمت تفسيرا للكثير من الكوميديا العقلية والكوميديا الجسمية، لكنه يبدو أنه بالغ في تقدير ضرورة الميكانيكية أو التغطية الوظيفية. ومن الصعب رؤية كيف استوعبت نظريته معظم النكات ومصادر النكتة القادمة من السخرية.

obeikan.com